

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية
المرحلة الثالثة

عمرو بن مسعدة ودوره في النثر العباسي

المادة: النثر العباسي

تدريسي المادة

م.د. امانى كنعان خضير

سيرته :

هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول. وكنيته أبو الفضل ، وهو ابن عم ابراهيم بن العباس الصولي الشاعر الكاتب (ت ٢٤٣ هـ) . اعتنق جده الاسلام زمن بني أمية. وكان أبوه مسعدة كاتباً بليغاً يشتغل في ديوان الرسائل زمن الخليفة المنصور. وقد نقل ياقوت قطعة نثرية له في تعظيم الاسلام تتميز بالبلاغة وحسن الصياغة . وهي .. الحمد لله الذي عظم الاسلام واختاره . وأوضحه وأناره . وأعزه وأنافه وشرفه وأكمله وتممه وفضله وأعزه ورفعاه ، وجعله دينه الذي أحبه واجتبه . واستخلصه وارترضاه واختاره واصطفاه ، وجعله الدين الذي تعتد به ملائكته . وأرسل بالدعاء عليه أنبياءه، وهدى له من أراد اكرامه واسعاده من خلقه . فقال جل من قائل : (أن الدين عند الله الاسلام) وقال جل وعلا : (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال : (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) . فهذا الاسلام والدخول فيه والعلم به وأداء شرائعه والقيام بمفادياته وصلت ملائكته ورسله الى رضوان الله ورحمته وجواره في جنته. و به تحرزوا من غضبه وعقوبته.

وكان المسعدة أربعة بنين ، عمرو، ومحمد ، ومسعود . ومجاشع الذي يقول فيه أبو

العتاهية

علمت يا مجاشع بن مسعدة أن الشباب

والفراغ والجده مفسدة للمرء أي

مفسدة

لم يصل الينا شيء عن مولد عمرو بن مسعدة ونشأته وأساتذته ، ولا نعلم نوع الدراسة التي انصرف اليها . ولعل أباه وجهه منذ الصغر نحو القراءة والكتابة والدرس. وعلمه صنعة الكتابة التي كانت الطريق للصعود إلى المجد والغلى والغنى

أقبل على أعمال الخلافة، فاشتغل كاتباً للتوقيع بين يدي جعفر بن يحيى . قال عن نفسه ، « كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى . فرفع اليه غلمانه ورقة يستزيدونه في روايتهم، فرمى بها الي وقال : أجب عنها ، فكتبت : قليل دائم خير من كثير منقطع. فضرب بيده على ظهري وقال : أي وزير في جلدك .. ولما شاع ذكره في صنعة الكتابة ومهارته فيها وبلغ خبرة الى المأمون قرّبه اليه وأكرمه وأخذ معه حينما زار دمشق. واختلفت الروايات في توليه الوزارة . فقال ياقوت الحموي : . قد ولي المأمون الأعمال الجليلة. وألحق بنوي المراتب النبيلة ، وسماه بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته لا لأنه كان وزيراً .. وقال المسعودي ، ان المأمون استوزره ، ومهما كان، فالمرتبة التي وصل اليها كانت جليلة وعظيمة . حيث اشتغل في ديوان الرسائل وديوان الخاتم والتوقيع والأزمة .

كان الخليفة المأمون يجله ويحترمه، ويسميه الرومي لبياض وجهه وجمال صورته . وقد ، أقبلت عليه الدنيا اقبالاً عظيماً، فنعم ولد واغتبط. وقصده القاصدون . وطابت نفسه باصطناعهم والاحسان اليهم وعطف على العفاة والقصاد . فاستكثر من الأنصار وانبسطت نفسه ويده بالعطاء، فتعشقت نفوس الناس وأهل الدولة. والخليفة من وراء ذلك يمدّه، ويطلق يده في المال والنوال .

خرج مع المأمون في غزوة في بلاد الروم وتوفي بمدينة أذنة سنة ٢١٧ للهجرة . ورفعت الى المأمون رقعة أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم ، فوقع في ظهرها : هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا . فبارك الله لولده فيما خلف . وأحسن لهم النظر فيما ترك.

نثره وأسلوبه :

كان عمرو بن مسعدة أحد البلغاء المعروفين في عصر الخليفة المأمون . قال ابن النديم . . كان بليغاً شاعراً مترسلاً وله كتاب رسائل كبير .. وقال ابن خلكان .. كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها، سديد المقاصد والمعاني

ان أسلوبه يتميز بالمتانة والوضوح والايجاز، وهو من السهل الممتنع ، وصفه الفضل بن سهل بقوله : " هو أبلغ الناس . ومن بلاغته أن كل أحد اذا سمع كلامه ظن أنه يكتب مثله . فاذا رآه بعد عليه مثل قوله في رسالة له الى الحسن بن سهل : « أما بعد . فانك ممن اذا غرس سقى ، واذا أسس بني ليستتم تشييد أسه ، ويجتني ثمار غرسه، وثناؤك عندي قد شارف الدروس ، وغرسك مشف على اليبوس، فتدارك بناء ما أسست وسقى ما غرست . ان شاء الله تعالى) (

لقد كان نثره الموصوف بالإيجاز الدال على المعنى الكثير موضع إعجاب أرباب البيان . قال أحمد بن يوسف الكاتب : « دخلت على المأمون ، وهو يمسك كتاباً بيده . وقد أطل النظر فيه زماناً وأنا ملتفت إليه ، فقال : يا أحمد . أراك مفكراً فيما تراه مني . قلت : نعم . وفي الله أمير المؤمنين من المكاره ، وأعادة من المخاوف . قال : فإنه لا مكروه فيه . ولكنني قرأت كلاماً وجدته نظير ما سمعته من الرشيد يقول في البلاغة، كان يقول : البلاغة التباعد عن الإطالة . والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى . وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على المبالغة في هذا المعنى حتى قرأت هذا الكتاب ، ورمى به إلي ، وقال : هذا كتاب من عمرو بن مسعدة إليه . قال، فقرأته فإذا فيه (كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم وانقياد كفاءته تراخت أعطياتهم . واختلت لذلك أحوالهم . والتقت معه أمورهم) فلما قرأته قال : إن استحساني إياه بعثني على أن أمرت للجند قبله

بعطائهم لسبعة أشهر . وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في
صناعته

وقد رأى القلقشندي أن طريقة مجموعة من كتاب العصر العباسي الأول ومنهم عمرو
بن مسعدة شبيهة بطريقة الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تجويد الالفاظ
وصحة المعاني وتقويم المباني . فقال : " لقد كان المتقدمون لا يحتفلون بالسجع
جملة، ولا يقصدونه الا ما أنت به الفصاحة في أثناء الكلام ، واتفق من غير قصد
ولا اكتساب، وانما كانت كلماتهم متوازية. وألفاظهم متساوية ، ومعانيهم ناصعة ،
وعباراتهم رائعة . وفصولهم متقابلة ، وجمل كلامهم متماثلة : وتلك طريقة الامام
علي رضي الله عنه ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام . كابن المقفع . ويزيد بن
هارون وابراهيم بن العباس والحسن بن سهل ، وعمرو بن مسعدة . وأبي عثمان
الجاحظ، وغيرهم من الفصحاء البلغاء .

ويُعدّ عمرو بن مسعدة الصولي علماً من أعلام العصر العباسي، وبلغائه، وأستاذاً
من أساتذة الكتابة الفنيّة، وأحد روادها الأجلاء، الذين كان لهم قَصَب السبق إلى
ترسّم أصولها، وقواعد الفنيّة؛ مما جعل نثره، وما سطره يراعه من النصوص
العربية البليغة، والأساليب الفصيحة موضع تقدير، وعناية، واهتمام من لدن علماء
البلاغة، وأساتذة النقد الأوائل، وقد دفعهم ذلك إلى الاستشهاد ببعض نصوصه؛ رغبة
في ضرب المثل للناشئة والمتعلمين، ومن كان فوقهم بنماذج من أروع وأبلغ
النصوص الأدبية النثرية.

من أجل هذه المكانة لعمرو بن مسعدة لقي شيئاً من العناية من بعض الدارسين
والنقاد في عصرنا الحاضر، فقلّما نجد دراسة تناولت النثر العربي بعامته، أو النثر
العباسي بخاصّة، خلّت من ذكرٍ له ولو يسير، وإشارة إلى نثره ولو عابرة.

اشتهر عمرو بن مسعدة بالحكم البليغة مثل قوله :

- عليكم بالاخوان فانهم زينة في الرخاء وعدة للبلاء .
- قلة الزيارة أمان من الملامة .
- أسرع الاشياء انقطاعاً مودة الأشرار .
- اخوان السوء كشجر في النار يحرق بعضه بعضاً .
- ظاهر العتاب خير من باطن الحق
- كمون الحقد في الفؤاد ككمون النار في الزناد ...
- القريب بعيد بعداوته، والبعيد قريب بمودته .
- لا تأمن عدوك وان كان مقهوراً . واحذره وان كان مفقوداً ، فان حد السيف فيه وان كان مغموراً
- نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب .
- الود أعطف من الرحم .
- النفس بالصديق أنس منها بالعشيق .
- من حقوق المودة عفو الاخوان، والاعفاء عن تقصير إن كان
- يبقى الود ما بقي العتاب